هبة الله أحمد

ماريونيت

قصص

This document was created using SOLID CONVERTER PDF
To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

بارد جدًا ذلك المحيط الذي يجمعنا.. تضرب أصقاعه أرواحنا بلا هوادة..

ذلك الظلام الذي يلفنا، فنعود نتحسس ملامحنا مخافة أن نفقد بعضها..

نجرب أصواتنا خشية أن تذهب عنا ذات صمت.. لا أحد هنا يملك الخيار، بل لا أحد يملك من أمره شيئًا..

الجميع في حالة ترقب وانتظار، لكن أحدًا لا يفعل شيئًا واحدًا..

لا يعرف ماذا ينتظر بالتحديد!!

The Cover Disign By:

M.A.Mosil7y

This document was created using SOLID CONVERTER PDF
To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

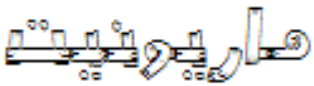

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

ماريونيت
2012 – الإصدار الأول
هبة الله أحمد
قصص

الغلاف والإخراج الفني:
محمد عبد القوي مصيلحي
mamosil7y@gmail.com

حقوق الطبع والنشر محفوظة للكاتبة، ولا يجوز
إعادة طبع هذا الكتاب أو جزء منه، أو الاقتباس
دون ذكر المصدر، إلا بموافقة خطيّة، ومن يخالف
هذا يعرض نفسه للمساءلة القانونية.

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

قصص

هبة الله أحمد

This document was created using SOLID CONVERTER PDF
To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

This document was created using SOLID CONVERTER PDF
To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

إلى

السابحين في فلك الحياة:

لا شيء يحدث على سبيل المصادفة.

هبة

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

الصندوق

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

نصف ساعة مرت وأنا أحدق في المعروضات من خلف زجاج نافذة المحل.. وقت طويل هو بالنسبة لشخص مثلي يقدس قيمة الوقت ويحرص على الثواني قبل الدقائق.

لا أدري ما الذي جعل الأفكار تتداعى خروجا من رأسي بهذه السلاسة، عندما وقعت عيني على ذلك الصندوق النحاسي الصغير.

يبدو، عتيقا يثير في النفس خليطا غريبا من المشاعر بل والهواجس أيضا.

أعرف أنها تعشق كل قديم.. تقول إنه يعبق برائحة الذكريات وسرية حكايات الماضي، حتى إنني أحيانا يخيل إلى أنها أحبتني لأن مظهري وطريقتي ضاربين في القدم.. رغم عدم تجاوزي العقد الرابع من عمري بعد، إلا إنها كانت تقول لي: عندما رأيتك لأول مرة، أحسست بأنك خارج للتو من كتاب أساطير قديم، ربما ألف ليلة وليلة أيضا!

نحن لا نتشاجر كثيرا في العادة فبيننا من التفاهم ما يسمح باحتواء أي خلاف مهما كان حجمه، لكن هذه المرة

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

يبدو أن وتيرة الأمور تسارعت، وخرجت عن حيز سيطرة كلينا.

لا أصدق إنني لا أتذكر السبب الحقيقي للشجار، يبدو أنه بدأ بفكرة سخيفة وتافهة، سرعان ما تشابكت مع أفكار أخرى أكثر أهمية وتعقيد.

لا أطيق فكرة الخصام بيننا، ولا أدرى كيف يسمح شخصان بينهما هذا الحب بأن يزاحمه في قلبيهما أي شبهة للغضب مهما كانت الأسباب.

أحب أن أحتفظ بمساحتي البيضاء مع من أحبهم، لا يشوبها أي مما يعكر القلوب ويكدر صفوها..

خرجت من المنزل لئلا تتفاقم الأمور ويتفوه أحدنا خلال غضبه بما يندم عليه مستقبلا.

أثناء سيرى، ولأول مرة يسترعي انتباهي هذا المحل، رغم مروري عليه بصفة شبه يومية

كان يشترى ويبيع كل ما هو قديم.. حلى، قطع أثاث بسيطة، وأي أغراض أخرى مما اصطلح على تسميتها بـالكراكيب..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

أي نوع من البشر يعجبهم أشياء غيرهم التي قرروا هم بمحض إرادتهم التنازل عنها..؟؟

بالتأكيد لست واحدا منهم.. لكن على الرغم من ذلك وجدت نفسي، ولسبب لا أعلمه أريد إلقاء نظرة استطلاع للأمر.. أعترف أن بعض المعروضات كانت جميلة، ربما بفضل ما أجراه عليها صاحب المحل من تعديلات ربما أدت إلى تغيير شكلها الأصلي.

ومن بين تلك الأغراض كان ذلك الصندوق..

مصنوع من النحاس يميل لونه إلى الأحمر المشوب باصفرار.. بتوهج غريب ومحبب إلى النفس..

كان مجرد صندوق عادي، متوسط الحجم.. مزين بالنقوش البارزة شديدة الدقة والروعة، لكن شيئا غامضا جذبني إليه وذكرني بالماضي، وذكرني بها وبهواية الاحتفاظ وجمع كل ما هو قديم.

فقررت أن أبتاعه كهدية، ربما نجحت في إزالة ما بيننا من توتر..

* * * * *

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

هل تعرف شعور رجل إطفاء نجح للتو بعد عناء كبير في إخماد حريق ليفاجئ به يشتعل مجددا رغم أنه تأكد من انطفائه بنفسه..؟!

هذا بالضبط ما حدث منذ عدة أيام عندما رأيتهما معا مصادفة بعد تلك السنوات..

هو من أحببته سرًا طوال فترة دراستنا سويًا ولم أجرؤ أن أصارحه بحبي قط، أو أن افعل شيء يمكن أن يشي بما يعتمل بداخلي بأي شكل.

هو لم يبادلني الشعور لكنه على الرغم من ذلك كان يعاملني بلطف شديد..كان يعتبرني على الدوام (أختًا) كما كان يقول!

أما هي فكانت حبيبته وصديقتي المقربة، لم تكن لتعرف أي شيء ولم أكن لأكدر باعترافي صفو علاقتهما.. لم استطع تخيل فكرة أن أخسر احدهما.

سنوات من العذاب مرت في مجاهدة نفسي ألا يبدر مني شيء له أو لها..

كنت على العكس أسعى دائما بصدق وإخلاص لإزالة أي توترات بينهما وتقريب وجهات النظر..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

صحيح أنني لم ألبي دعوتهما على حضور الزفاف لأني لم أكن متأكدة من قوتي بالقدر الذي يسمح بألا افسد الأمور في ذلك اليوم بالذات ورغبت أن تكون آخر ما يتذكراني به خيرا.. إلا إنني دعوت لهما بصدق أن يعيشا في سعادة.

هذا يكفى.. هكذا قررت اليوم أن أضع حدًا لاستنزاف روحي على مرئى ومسمع منى دون أن أحرك ساكنًا..

قررت أن أحرق حقيبة ذكرياتي كاملة لئلا يكون هناك خط للرجعة..

لكنها لم تكن حقيبة.. بل كان صندوق الأسرار خاصتي!

صندوقا أهدتني هي إياه يومًا كان عتيقا يعبق برائحة الماضي والذكريات كما كانت تقول..

كانت تحب هذه الأشياء ورغم إني لا أميل إليها كثيرًا إلا إنني أحببته لا أدرى لماذا..

شيء به يثير بالنفس الأسرار والأفكار، بل والهواجس أيضًا لذا فقد اتخذته مكمنًا لأسراري وأفكاري وهواجسي!

احتفظت فيه بكل ما يتعلق بحبي الذي لم يكتب له أن

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

يرى النور ويحيا إلا بين ضلوعي وبين خفقات قلبي وعندما كانا يضيقان به كنت أبثه كلمات فوق ورق اكتبها بالكثير من الصدق.. اليأس.. والدموع.. ثم أطويها وأشيعها بمثواها الأخير..

بالصندوق!

كما احتفظت بداخله بدعوة زفافهما..

صور لثلاثتنا معا..

كلمة قد كتبها لي على سبيل الذكرى، كما فعل غيره من الزملاء.. لكنني احتفظت بكلمته هو فقط..

بعض من رسومات الكاريكاتير التي كان يرسمها بمجلة الحائط..

وأشياء أخرى.....

لكن أخطرهم – على الإطلاق – كانت تلك الرسالة التي كتبتها ذات يوم، كان قد استبد بي الشوق له وفاضت بي أمنية أن اعترف له بحبي فكتبت تلك الرسالة وعزمت أن أضعها بين دفتره.. لكنهم فاجأوني في ذلك اليوم بالتحديد بإعلان نبأ خطوبتهما.. فتراجعت عن الأمر، واحتفظت

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

بالرسالة التي لن يراها غيري في الصندوق إلى الأبد.

ذلك الصندوق الذي تفننت في إخفائه بعد ذلك الحادث الذي كاد أن يودي بي ويفضح ما كان من أمري..

جاءت إلي، حاملة دعوة زفافهما، وعندما خرجْت لإحضار العصير وعُدت، رأيتها ممسكة بالصندوق تتأمله!

هالني الأمر في البداية، وارتعدت أوصالي لفكرة أنها قد تكون فتحته وعرفت ما به..

لكنها طالعتني بوجه عادي، لم يكن ليبقى كذلك لو أنها عرفت شيئا..

يبدو أنها كانت تتأمله فقط.. حين رأتني ابتسمت وقالت:

ألازلت تحتفظين به؟

فأخبرتها إنني أقدّر هداياي ومن أهدوني إياها، وشكرتها، وأخذته منها لأضعه جانبًا وانتقلْت بالحديث لأشياء أخرى..

بعد زواجهما حاولت تقبّل الفكرة، والتسليم بالأمر الواقع، لكنني كنت لا أزال أعيش حبًا أسطوريا مجرد

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

المعاني في خيالي.. لا أحبه هو كشخص، بل ككيان منحَني حبًا عظيمًا ذات يوم، ومشاعر وأن كانت مبتورة فإنها شكّلت وجداني لوقت طويل.

ابتعدت في صمت وانقطعت علاقتي بهما..

حتى رأيتهما معا، في ذلك اليوم بعد تلك السنوات.. وشعرت بأن الحب الذي جمعهما لم يكن يوما ليستوعب وجودي كدخيل على المشهد حتى ولو في عالم الخيال، فقررت أن اقتلع جذوره من حياتي.. أحرقت كل شيء كان بالصندوق.. وبقى هو جثة هامدة تذكرني هيئته بكل التفاصيل.

فكان لابد أن أتخلص من جسم جريمتي السرّية وأواريه إلى الأبد.. مستغفرة لذنبي وخطيئتي في حق نفسي كل تلك السنوات المنقضية..

تذكرت ذلك المحل الذي يبيع ويشترى الأشياء القديمة مما اصطلح الناس على تسميتها بالكراكيب..

قدمت خطوة وأخرّت أخرى، في الطريق إليه وكأنني أم تتخلى عن طفلها أمام باب مسجد لأسباب خارجة عن إرادتها في أحد الأفلام الدرامية!

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

أعطيته إياه، ولم انتظر ثمنا، فلم تكن أى نقود بالعالم لتضاهي قيمته الحقيقية بنظري..

بعدها غالبني شعور جارف بالندم على ما فعلت وشعرت بأني أقتطع جزءا هاما من روحي وذكرياتي، حينما قررت التخلي عنه..

حينها قررت أن أستعيده بأي مقابل..

في صباح اليوم التالي كنت أقف أمام المحل المغلق، انتظر قدوم صاحبه.. وحينما أخبرته برغبتي في استعادة الصندوق، اعتذر لي وأخبرني أن شخص قد اشتراه.. وفاجأني بجملة، رغم بساطتها إلا إنها أيقظت داخلي معنى جاهدت كثيرًا في عدم الاعتراف، به حين قال:

"آسف.. هناك أشياء لا نستطيع استرجاعها بمجرد التخلي عنها!!"

* * * * *

في الواقع، إن ما دار بيننا من شجار بالأمس كان مفتعلا تماما، فلم أشأ أن أخبره بالسبب الحقيقي، خاصة إني على يقين من أنه لا يدري عنه شيئا..

لكنني لم أطق رؤيتها منذ عدة أيام بعد تلك السنوات،

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

وأنا أعلم أنها تحبه.

الأمر نفسه الذي لم يثر حفظت، حين عرفت.. يوم أن قرأت اعترافها المكتوب كرسالة داخل الصندوق الذي أهديتها إياه بنفسي!

وتظاهرت بأن شيئا لم يحدث وأنني لم أعلم بالأمر.. ربما لأنني لم أشأ وقتها أن يعكر سعادتنا أي شيء قبيل زفافنا بأيام..

ربما لأنني كنت أثق بأنه لا يعلم، ولا يشعر بشيء تجاهها..

لكنني لم أفهم أبدًا كيف استطاعت كل تلك السنوات أن تخدعنا، أو تخدعني أنا على وجه الخصوص..؟!

كيف احتفظت بهدوئها، وكيف لم ألحظ شيئا..

كان يعتبرها بمثابة أخت لكلينا، لم أتوقع أبدا أنها تحبه.. هي التي كانت تسعى لتقريب وجهات النظر بيننا حين وقوع أي خلاف.. هي التي لطالما تحدثت معها عنه وتحدث معها عني، واصطفيتها من بين جميع صديقاتي لاحتفظ عندها بأسراري.. لكن الأمر بات واضحًا عندما تخلّفت عن حضور عرسنا، واختلقْت أنا له عذرا مناسبا

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

حين سألني عن أسباب عدم حضورها..

كما تفهمت رغبتها في الابتعاد والاختفاء طوال تلك السنوات.. هي ببساطة لم تستطع رؤيتنا سعداء!

لم تستطع تقبّل فكرة أنه لم يعد هناك فرصة للحصول عليه لنفسها، وسقط أخيرًا قناع الصديقة المخلصة والحبيبة الوفية

ليسفر تماما عن وجهها الحقيقي..القبيح!

والذي تبين لي مكتمل الملامح عندما رأيتها منذ أيام تختلس النظر إلينا، أو – بالأحرى – إليه..

نظرات مفعمة بالشوق والتحسر على فرصتها الضائعة..

ترى هل تفكر في إعادة المحاولة من جديد، وتفعيل دورها تلك المرة، في هذه اللعبة السمجة، ليكون أكثر تأثيرا في مجريات الأمور؟

لا أصدق أنها ظهرت مجددًا بعد تلك السنوات على سبيل المصادفة، بل لكي تفسد حياتنا متعمدة..

لكنني لن أكتفي بالصمت والتكتم تلك المرة، حتى لو تطلب الأمر أن أقاتل من أجله.

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

لا ينبغي أن افقد هدوئي ثانية كما فعلت بالأمس، الأمر الذي أبدًا لن يكون في صالحي..

لا أطيق فكرة الخصام بيننا، ولا أدرى كيف يسمح شخصان بينهما هذا الحب بأن يزاحمه في قلبيهما أي شبهة للغضب، مهما كانت الأسباب..

لابد من الاحتفاظ بمساحتي البيضاء مع من أحبهم، لا يشوبها أي مما يعكر القلوب ويكدر صفوها..

* * * * *

بالتأكيد لم تكن ردة فعلي بالمتوقعة من جانبه حين أتى بكل الشوق مفعما بالحب والإصرار على تجاوز ما كان.. حاملا إلى شيء اعتَقد أنه محبب إلى نفسي، لكنه لم يدر مدى كراهيتي له..

ذلك الصندوق الذي أهديتها إياه، وبداخله حفظَت أسرار وتفاصيل حبها له..

قطبت جبينى وبداخلي كتمت أنين مختنق قبل أن أتمكن من سؤاله:

"هل لك أن تشرح لي كيف وصل هذا الصندوق إلى بيتي، وفى هذا التوقيت بالذات؟؟!!

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

دقات التاسعة

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

التاسعة مساءًا بتوقيت القاهرة.. مساء شتوي هادئ تتساقط ساعاته ببطء كقطرات المطر على نافذة غرفته.. تغريه بمداعبة بعضها بأطراف أصابعه ووجهه، لكنه يخشى عواقب فعلته.. فلم تعد سنوات عمره المتقدمة ولا تجاعيد وجهه الجافة كأوراق الخريف الصفراء، تشي بقدرته على تحمل نزلة برد كتلك التي كانت بالسابق تثير سخريته كلما أتى على ذكرها أحد من قبيل الأمراض..

مازال الليل طويلًا ومازال النوم بعيدًا.. يقض مضجعه الكثير والكثير.. يحاول عبثًا الإنصات لتلك الموجات الصوتية المشوشة، والمنبعثة من ذلك الراديو القديم المجاور لفراشه فوق الكومود.. آثر عدم تغييره ولجأ إلى إصلاحه كلما أصابه عطب، متجاوزًا كلمات التهكم التي يلقيها الفني على مسامعه في كل مرة، فقط لأنه يحمل له (ذكريات محببة).. تلك الكلمة التي أصبحت تمثل له كل شيء..

يتهادى صوت المذيع الرخيم الذي رافقه في معظم أيام حياته، حتى صار أشبه بصديق يعرفه جيدًا ويشاركه الكثير

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

من الأحداث الهامة لكنه لم يقابله يومًا.. تنتشر الموجات في الفراغ وتتسع ثم لا تلبث أن تتلاشى ليحل محلها أخرى جديدة تثير في نفسه تساؤلًا نمطيًا:

هل مازال أحد يتابع هذا الاختراع سواه؟!

تفور القهوة السادة محدثة بقعة بلون شروده.. تغريه رائحة القهوة دائمًا.. تنعش بداخله روح التحدي لتعليمات الأطباء.. تثير في نفسه الحنين لأيام كانت، وذكريات ولّت..

التاسعة مساءًا – منذ أعوام – كان موعد عودته في يوم الخميس.. ثمان وأربعون ساعة هى مدة إجازته الشهرية من عمله الإلزامي.. يكاد يلتهم الطريق الطويل من تلك البقعة المقفرة بالصحراء إلى حيث يوجد دفء العالم كله وأنسه.. في ذلك المنزل الهادئ الصغير حيث زوجته وأطفاله الثلاثة..

يدق جرس الباب أو بالأحرى لا يكاد يفعل، فأبناؤه يسبقونه دائمًا وكأنهم يسمعون دقات قلبه المتحمسة على

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

بعد أمتار.. يتدافعون نحوه في سباق بينهم أيهم سيحظى بعناق أطول وقبلات أكثر ..

بالخلف تقف هي، تتحين مجيئه الموسمي كشجرة عيد الميلاد.. تتزين كعروس جديدة في كل مرة، تحمل عيناها من الشوق وقلبها من الحب ولسانها من الكلام، ما لا يسعه سوى ذلك الصمت المعبر، وتلك النظرة الواشية، ودقات قلبها التي لا يفهم معناها سواه ..

يمر أغلب الليل في الحديث.. يحكي لهم ما يلقى بعمله.. يتندر بحكايات ومواقف زملاؤه المضحكة.. يصف لهم كم يفتقدهم ويفكر فيهم دائمًا حتى في أكثر الأوقات انشغالًا.. وحين يتعب يتوقف ليأتي دورهم.. يتابع بشغف حكاياتهم حتى أدق وأبسط تفاصيلها.. كتبادل أطفاله الشكوى من بعضهم البعض تارة، ومن أمهم تارة أخرى..

يتمنى لو كان حاضرًا ليربت على كتف الصغيرة ويمسح دموعها، حين تأتيه تشكو أخيها الذي أتلف لعبتها المفضلة.. أو يفض شجارًا نشب بين الأخوين.. يعنفهم بينما يفيض قلبه خوفًا وعطفًا عليهما.. و هما يكتمان بعض

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

ضحكات، تسرب بعضها إليه ليتضح له أخيرا أن المعركة التي دارت بينهما لم تكن سوى مباراة ودية يستعرض كلا منهما فيها مهاراته في تلك اللعبة المحببة إليهم..

يتمنى لو كان موجودًا ليخفف عنها المسؤولية التي ارتضتها ولم تع ثقلها.. تلمع عيناه ببعض الدموع التي لا تليق وطبيعة عمله وحياته القاسية.. تمتد يدها لتطوقه فيستشعر دفئًا لطالما اشتاقه، ليفيض فوق الدنيا كلها حتى وإن غمرتها سيول من الأمطار ولفها الصقيع بردائه.. ينام الأطفال يحلمون بنزهة الغد وتبدأ الحفلة الكلثومية الإذاعية ليمتد الليل آسرًا.. عامرًا بنغمات الحب والسعادة..

التاسعة مساءًا.. ذات يوم ودّعه فيه كل معنى للهناء والطمأنينة.. متقابلين جلسا على جانبي المائدة يتوسطهما ذلك الرجل بملابسه المميزة وسمته الوقور..

تشرد أفكارهما بعيدًا.. لم تعد الأمور كما كانت.. ساءت الأحوال بينهما.. طالت مدة غيابه أكثر نظرًا لظروف استجدت ومسؤوليات تضخمت.. كبر الأولاد وازدادت

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

مشكلاتهم.. لم تعد تقوى على العيش بدونه.. تحتاج وجوده أكثر من أي وقت مضى، لكن السبيل إلى ذلك بعيد..

تنساب دموعها في أسي وصمت.. يبتلع هو القهر في نفس الصمت.. ينتبها لسؤال الرجل الملقى بينهما بانتظار إجابة.. يتوجه إليها بنظرة أخيرة متشبثًا ببقايا أمل.. ربما كان هناك خطأ ما.. ربما كان كابوسًا سينتهي بعد دقائق.. يبحث عن يدها توقظه فيصطدم بغلظة الواقع.. يهز رأسه أخيرًا في أسف، فيتم الرجل إجراءات الطلاق..

ينفض الذكرى من رأسه عائدًا لقهوته.. يرتشف ذكرى أخرى يستدعي فيها وجوه أبنائه بعد أن كبروا.. تباعدت بينهم المسافات.. خاصة بعد أن اضطُر للسفر خارج البلاد في أحدى البعثات.. عاد بعدها ليجد نفسه أحد المدعوين على زفاف ابنته، لرجل لا يعرفه ولم يقابله سوى مرات قليلة، لم تكف للحكم عليه جيدًا.. بينما صار الولدان شابان مرموقان.. مرارة غص بها حلقه، وضغينة حملها رغمًا عنه لذلك الرجل الذي احتل مكانه في حياتهم، رغم ذلك الامتنان الخفي الذي لم يفصح عنه يومًا له.. لنجاحه في

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

استكمال دوره والتعويض عن غيابه.. على أي حال فقد تغير شعوره نحوه منذ عدة أعوام ولم يعد يُكنّ له سوى دعاء بالرحمة واحتساب الأجر..

أجهدت قلبه الذكريات، فاستكان فوق فراشه ينشد بعض الراحة.. انتبه لبدء ذلك البرنامج الغنائي.. أرهف السمع ينتظر وصول إهدائه لهم، خاصة هي.. فهو يستبعد أن يستمع أولاده للراديو في ذلك العصر.. لكن أملًا يساوره منذ وقت بعيد، كلعبة يمارسها لاقتطاع مرارة الوحدة وسخف الأيام.. يمنى نفسه أنها ربما لازالت تشاركه هوايته وممارسة بعض من عاداتهما القديمة.. ربما تستمع ذات يوم لأحد تلك الإهداءات التى لا يتوقف عن إرسالها ..وربما شعرت بسببها بشيء من الامتنان أفلح ولو بشكل عارض في القضاء على شعوره الدائم بالندم والتقصير تجاههم.. اختار لها اليوم أغنية تعشقها، تذكره بذكرى زواجهم الأولى والتي توافق اليوم مصادفة.. عندما تجدد الحب والشوق بينهما وراحت أم كلثوم تصدح بصوتها الشجي.. كانت أيام هنيئة..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

لم يكد يصدق أذنيه حين سمع اسمه في أحد الإهداءات.. نعم لم يخطئ الفهم، كان الإهداء هذه المرة موجهًا إليه هو بالذات.. ولكن لم يذكر مقدم البرنامج اسم مرسله.. أضاءت عيناه ببريق انطفئ منذ زمن بعيد، واستيقظ داخله يقين مخلفًا شعورًا ظل يتسع شيئًا فشيئًا، مضاعفًا عدد دقات قلبه الفرحة، حين انساب الصوت الكلثومي إلى أعماق روحه متسائلًا في حيرة "جددت حبك ليه؟!"

دقت الساعة دقة جديدة.. نظر إليها مبتسمًا بكثير من الرضا، حينما جاوز عقربها الأصغر لتوه التاسعة مساءًا..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

ماریونیت

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

انتهت ليلة أخرى مفعمة بالتخبط والوجع، واليأس من انتهاء هذا الوضع البغيض..

أذكر أنني لم أكن كذلك منذ زمن ما، لا أستطيع تقديره الآن..

لكني أذكر جيدًا أنه كانت لدى حياتي الخاصة.. وإرادتي الحرة لأن أتكلم.. أبكي.. أرقص.. أجن، بل واهرب عندما أريد..

لن يستمر الحال هكذا.. أعرف ذلك، يقينًا.. سيتغير كل شيء غدًا..

غدًا أجوب الشوارع الواسعة المغسولة بمياه المطر الذي توقف هو الآخر منذ زمن.. غدًا تعود لي حياتي مثلما كانت.. وعندما يلوح سلطان النوم بيديه من بعيد، فلابد أن تفتح خزائن الأحلام لتتسع لكل ما لم يحدث أو يقال..

لا أعرف أسماءًا بهذا المكان ولن تشكل معرفتنا بها فارقا على أي حال، فجميعنا هنا متشابهون..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

بالأمس استلّت من هي بالجوار مرآة من إحدى غرف الملابس.. يا للنساء لن يكففن عن هوسهن بالمرآة..!

جاءتني هلعة ترتجف وتخبئ يدها خلف ظهرها، ففطنت للأمر.. كانت قد أسرتني بتلك الأمنية التي اتضح أننا مشتركتان بها منذ فترة طويلة، ثم توقفنا عن ذكر الأمر..

"فلتجربي أنت أولًا".. هكذا قالت، فنعتّها بالجبن.. أخبرتني أنه هكذا نتقاسم المخاطرة، فهي من جلبتها.. فلأجرب أنا أولًا، فوافقت ويا ليتني ما فعلت..

رأيتها هناك خلف السطح اللامع للمرآة، تحدق في يأس شديد الوقاحة.. بالتأكيد لم تكن تمت لي بصلة وإن كنت أذكر شيئًا عن تلك العينين.. شيء ما بعيد باهت كضوء مصباح إنارة عتيق، لم يع أنه أحيل للتقاعد منذ سنوات.. لكن تلك الروح لم تكن تخصني، بل كانت زائفة تمامًا ككل شيء هنا..

صرخت في مرارة وألقيت بالمرآة بكل قوتي فتهشمت وتناثرت قطعها الصغيرة، تمارس حريتها بشغف.. ولم نعاود فعلتنا مرة أخرى..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

يزعجني صمته.. يقتلني.. يزيد من تلك البرودة التي تسري بأوصالنا وتهدد وجودنا في إصرار..

لا ألومه فلن يفد اعترافه شيئًا.. ماذا ينفع الحب في هذي الظروف وأي حب سوف يحيا إن كان ذويه ميتون..

لكني رغم ذلك لم أكف عن ممارسة ألاعيب الأمل من حين لآخر.. ولم أكف عن تخيل ردة فعلى إزاء الكلمة التي لم تقال..

بارد جدًا ذلك المحيط الذي يجمعنا.. تضرب أصقاعه أرواحنا بلا هوادة.. ذلك الظلام الذي يلفنا، فنعود نتحسس ملامحنا مخافة أن نفقد بعضها.. نجرب أصواتنا خشية أن تذهب عنا ذات صمت..

لا أحد هنا يملك الخيار، بل لا أحد يملك من أمره شيئًا.. الجميع في حالة ترقب وانتظار، لكن أحدًا لا يفعل شيئًا واحدًا.. لا يعرف ماذا ينتظر بالتحديد!!

* * * * *

لم يعد أحد يأتي على ذكر ما حدث منذ عام.. ذلك أننا لا نخاف من ذكر الأمر، بقدر فشلنا في استيعابه، كل مرة نتذكره فيها..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

وجدناه في الصباح ملقى فوق أحد أكوام القمامة.. ميت.. ميت تمامًا وليس نصف ميت مثلنا..

حاول الاحتجاج فعذبوه.. حاول الهرب فادعّوا أنه مريض وعزلوه حتى لا ينتشر المرض.. حاول أن يغيّر فأعلنوا الاستغناء عنه..

قالوا إنه انتحر، لكن آثار العنف كانت واضحة تماما للعيان

أنكروا عليه الشهادة، ومسحوا ما كان بخانة الديانة حتى لا يتعرف عليه ملائكة الجنة..

* * * * *

صمت طويل..ضلالات.. أفكار.. وبرودة اليأس..

ثم فجأة ينكشف المشهد عن عنف جديد.. يفاجئنا رغم التكرار.. لم نعتده بعد ولا أتوقع أننا سنفعل يومًا..

"حان وقت العمل".. قالها الصوت اللعين، فشرع أحدنا يبكي والآخر يثرثر بما لا يعي، وأخرى تمتد ضحكاتها الرقيعة خلف جدار الزمن، وأنا أرقص.. متى علموا أنني أهوى الرقص!

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

ربما لا أجيده لكنى أحب أن أفعل (يبدو أنهم يعرفون كل شيء) لكني لم أعد أحب الرقص منذ أرغموني عليه.. لم يعد الأمر مسليًا وممتعا كما كان، بل أصبح مهينًا .. ومؤلمًا..

اشعر بالألم يحتل كل ذرة في كياني، يسري داخل شراييني.. وعندما يتجاوز الأمر قدرتي على التحمل، يأتي الشعور بالخدر، وينتهي كل شيء..

لكن بصفة مؤقتة، تتوقف الخيوط عن جذبي.. يصفق الجمهور المتآمر ويرضى أصحاب الأيادي العليا عن الأداء.. فيسدل الستار عن الليلة وتنسكب دموعنا أنهارًا من الألم، ونبيت ليلتنا نحلم بالتحرر..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

ذات لقاء

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

ساعات وتستقبل عامها العشرين.. ذلك الذي يتغنى به معظم الناس ويصفونه ببداية مرحلة جديدة تقف على بعد خطوات منها تخاطب المجهول وتتمنى لو يرد لها جوابا لسؤال إرهقها:

هل سيحمل عامها الجديد بطاقة دخول لذلك العالم السحري المجهول بالنسبة لها، والمسمى بالحب؟

لا تعرف عنه سوى ما تسمعه من صديقاتها، وما تحمله كلمات الأغاني وقصائد الشعر وقصص الغرام.. تعرف أنه عالم تختلط فيه معاني السعادة بالعذاب.. والفرح بالألم.. والتضحية بالقسوة.. تتمنى أحيانا لو تحيا تجربة واقعية، ولكن تخشى على نفسها.. فتؤثر السلامة وتمارس الانتظار برضا!

في طريقها لمحل الحلويات توصي باستعدادات الغد كي تكون حفلة مولدها العشرين مختلفة عن كل ما سبقها.. التقت أعينهما للحظات في نظرات معلقة.. لم تكن تلك هي المرة الأولى، فقد رأته من قبل عدة مرات..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

نفضت عن رأسها خاطر ساذج بأنه يتبعها.. يكن لها مشاعر ما.. اعترفت لنفسها في خجل أن طيفه داعب خيالها لمرات مصادفة، واحتل وجوده جزءا من تفكيرها في بعض الأوقات، غالبا ما كانت تلي تلك المرات التي تراه فيها.. ثم ما يلبث أن ينتهي كل شيء كما بدأ فجأة..

استدعت بعض صور باهتة من ذاكرتها عنه استطاعت أن تلمح منها حقيقة وسامته.. حضوره اللافت وشخصيته الجذابة.. ثم توقفت لتسأل نفسها في سخرية، من أين لها أن تقر بحقيقة شخصيته.. الجذابة؟!!

ابتسمت لسذاجة تفكيرها وذلك الخيال الذي لا تمله كلعبة ممتعة.. في كل حين حدثت نفسها في حيرة هل يمكن أن تكون رؤيته اليوم تتعدى مجرد الصدفة.. هل تشكّل معنى أو إشارة ما.. هل تنذر بشيء سوف يحدث لها في عامها الذي سيولد بعد ساعات..؟

استرقت نظرة خاطفة فوجدته وقد انصرف عنها وبدا وكأنه مشغول في أمر ما..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

تسلل شعور بالإحباط إلى قلبها وعاتبت نفسها على انصياعها لخيالها الحالم الذي يختلق الأشياء ويسبب لها الحرج في معظم الأحيان..

وصلت إلى البائع وأخذت تذكر له ما تريد وتشدد على ضرورة أن يكون كل شيء جاهزا في موعده و... انتبهت لتلك الورقة التي وضِعت في كفها على حين غفلة منها، بينما كانت مستغرقة في الحديث.. وقبل أن تفهم أو تقل شيئا تلفتت حولها لتجد ذلك الفتى بعينه يبتسم لها ابتسامة ذات مغزى، ثم يستدير نحو الباب، وتختفي صورته من أمام عينها في ثوان معدودة..

– هل من خطب يا آنسة؟

قالها البائع، حين توقفت بغتة عن حديثها المندفع وبدت

عليها أمارات الذهول..

– لا شيء!

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

اندفعت مسرعة للخارج ربما تفلح في اللحاق به علها تفهم تصرفه، أو تصفعه، وتجرى باكية كما ترى في الأفلام.. لكنه اختفى تماما كما لو أنه لم يكن من الأساس!

استغرقت يومها في التفكير فيما حدث.. أوجد عقلها العديد من التفسيرات من بينها أن يكون الأمر مجرد توهّم لشيء تشتاق تجربته، لكنه ما يلبث أن يتلاشى أمام تلك الورقة التي تجعدت بين بيديها لكثرة المرات التي قرأتها فيها.. كانت تحتوى رقم هاتف وجملة واحدة:

"سأنتظر اتصالك في المساء"!!

انتابتها مشاعر مختلفة خوف.. ترقب.. سعادة.. وبالنهاية تخبط..

كانت مجهدة بسبب ترتيبات الإعداد لحفل الغد، وعقلها الذي لم يتوقف لحظة عن التفكير، وأثقلت رأسها الظنون.. سيطر عليها شعور واحد طغى على المشاعر الأخرى، هو شعور عميق بالحيرة ما بين إغراء التجربة وصرامة المبادئ التي رافقتها طوال السنوات الماضية..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

وتأرجحت أفكارها ما بين وردية حالمة، وأخرى مُقبضة موحشة..

تمنت لو لم يأت المساء وتوقف الأمر عند هذا الحد لكنه أتى، وأسرع مما توقعت.. شعرت برأسها يوشك على الانفجار وأشفقت على قلبها من دقاته شديدة التوتر.. عرفت أنها لن تستطيع اتخاذ قرار الليلة، فقررت الاستسلام لفكرة النوم، كمخرج مؤقت من هذا الموقف الغريب وغدا يكون ما يكون..

استقبلت الفراش بشوق كبير، تمنى نفسها بنوم هادئ يريح أعصابها المرهقة.. وقبل أن تغمض عينيها، تسحبت يدها وامتدت إلى الورقة المتجعدة.. وقبل أن تعطي نفسها فرصة للتفكير، كانت قد أحالتها إلى فتات.. أفلتت قبضتها فتناثرت أجزاؤها الصغيرة فوق الأرض.. أغمضت عينيها وأسلمت نفسها لنوم مليء بالأحلام.

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

خلاف

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

وضعت رأسها بين كفيها، وأخذت تهتز في حركة آلية كبندول الساعة.. تنتظر شيئًا ما..

شيئًا لا تعرفه لكنها على يقين أنه واقع لا محالة..

بالأمس رأت نفس الحلم الذي يتكرر دائمًا، بأن الحبل الملتف حول جيدها يعتصرها بقوة.. لتستفيق مباشرة قبل أن يخنقها كل ليلة ينفك أخيرًا.. يسقط على الأرض.. يرسم الرقم ٩ وسط بقعة ما دائرية تزداد اتساعًا شيئًا فشيئًا ثم يذوب بداخلها.. ويختفي تمامًا.

"قلبي مقبوض قوي.. استر يا رب.."

نظرت إلى التقويم المعلق على الحائط للمرة العاشرة وأشاحت نظرها في يأس..

نادت طفلها:

"افتح الباب لبابا يا حمادة.."

دق جرس الباب بعد لحظات.. جرى الطفل إلى الباب يفتحه..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

"ازيك يا حبيبي.. ايه اللى عوّرك كدا؟"

توجهت بالحديث إليه:

" وأنا مفيش ازيك؟!"

نظر إليها شذرًا، فالتقط الطفل مغزى الإشارة المتكررة.. وانصرف مسرعًا إلى غرفته قبل أن تبدأ المعركة اليومية!

"إلى متى سنستمر بتلك المسرحية السخيفة.. لم أعد أطيق العيش في تلك الأكذوبة.. "العائلة السعيدة".. إنكِ حتى لا تنتبهين لأبنك!"

حاولت أن تستوقفه ليكف عن حديثه.. فتابع غير مكترث بشيء..

"أنتِ تعرفين أنني لم أعد أحبك.. وتعرفين أنني على علاقة بها.. وأنها ليست مجرد نزوة ستنتهي كما حدث من قبل.. وتعلمين أن حياتنا معًا انتهت منذ مدة ليست بالقصيرة.. ولم يعد حلمك بالعش الهادئ السعيد سوى وهم يلتهم ما بقى من عقلك يومًا بعد يوم، حتى لم يبق منه شيء!.. لقد سئمت حياتي معك.. أريد أن أتابع ما تبقى

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

منها مع امرأة أخرى.. امرأة لا تربط مصيرها بالأحلام والخرافات.. لماذا لا تفهمين أني لا أعبأ بروحانياتك السخيفة تلك.. ولا أجد لتصرفاتك أي مبرر منطقي.."

قاطعته مجددًا بإنهاك شديد:

"أرجوك توقف.. ليس اليوم بالذات.. أنت لا تفهم!"

"أنتِ التي لا تفهمين أن ما تفعلينه لم يزدني قربًا منك، بل على العكس تمامًا.. أنتِ حتى لا تخيفيني لو كانت هذه نيتك!!.. سأرحل وأدعك تطاردين كوابيسك، وتحاربين الأرواح الخبيثة، وتختنقين برائحة البخور التي سببت مرض ابننا الوحيد.. سأتركك تتخذين قراراتك بناءًا على تلك الرؤى الضبابية وحركات جفنك العصبية.. والإشارات الخفية عبر الأثير.. بل وحظك اليوم إن أردت.. لا يمكنني العيش هكذا.. أحتاج لامرأة تخاطبني بلغة المنطق.. تقنعني استنادًا إلى قوة العقل لا الخرافات.."

أدار ظهره باتجاه الباب.. جرت خلفه.. تعلقت بذراعه.. توسلت إليه ألا يرحل.. دفعها.. عاودت الكرة من جديد.. جذبته من قميصه.. كاد أن يختنق.. تملص من

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

يدها ودفعها بقوة.. ارتد على إثرها للخلف.. ارتطم بالحائط.. اهتز الجدار.. سقط الإطار الزجاجي لصورة زفافهما.. تهشم فوق رأسه.. ترنح للحظات قبل أن يسقط على الأرض.. سالت الدماء، محدثة بقعة دائرية يزداد اتساعها شيئًا فشيئًا.....

انقطعت آخر أنفاسه.....

نظرت إليه في ذهول غير مستوعبة للحدث.. أشاحت بصرها إلى التقويم..٩ ابريل.. عيد زواجهم الخامس!!

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

وانطوت الصفحة أخيرًا

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

لا أعرف سببا يمكن وصفه بالمقنع، لما يخالجني من شعور بالضيق الذي يعتمل بصدري منذ أن استيقظت اليوم هذا الصباح وأنا اشعر بأن شيئا ما سيحدث.. شيء من شأنه إفساد مزاجي المتعكر أصلا.

أشعر وكأن الهواء ثقيل أكثر من الطبيعي.. يشق طريقه داخل رئتي بصعوبة، ليستنفد وقتا أطول من المعتاد، لأزفره أخيرا في غضب من يود لو وجد شيئا يصب به غضبه ليتخلص منه ويحصل على بعض الراحة.

في مثل هذا يوم لا يسعني سوى تجاهل الأمر برمته، وممارسة طقوسي المعتادة.. ولنرى ماذا ستسفر عنه الأحداث.

قادتني قدماي إلى مكاني الذي جمعتني به صداقة أصيلة مؤخرا.. اتخذت مجلسي على نفس المنضدة القابعة في الركن المنعزل، وكأنها تنتظرني وتأبى ألا يشاركني أحد فيها..

من موقعي يمكنني ممارسة هوايتي الأثيرة التي اكتشفتها منذ فترة قليلة.. وهي الشرود بحرية ومطالعة الوجوه من حولي دون أن ينتبه أحدهم لي، ويتهمني بالفضول..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

هم لم يقتنعوا أبدا بحقيقة أنني لا أراهم كأشخاص بعينهم، لا أراقب تصرفاتهم من باب الفضول اللزج أو التدخل السافر بحياتهم ولكني أطالعهم لأرى فيهم صخب الحياة، التي تبدو لي وكأنه أصابها الجمود.

منذ فترة وتوقفت الأرض عن الدوران عندي واعتبرتني من الثوابت التي تدور هي والجميع حولها..

مكتفية بمتابعة الناس والأشياء لأشعر بأن الحياة لازالت مستمرة كما يردد الجميع، وأن شيئا لم يخالف نمطه المعتاد بعد ما حدث لي..

جاء النادل مبتسما كعادته ومستغربة كعادتي من احتفاظ الرجل بابتسامته دائما وفى جميع المواقف حتى لو كان ضمنها شجار وتقريع من أحد الزبائن.. بالتأكيد هي قدرة تستحق الإشادة والدهشة معا أن يحتفظ أحد بابتسامته!

حاولت أن أستعير ابتسامته كتحية صباحية، فتشنجت عضلات وجهي وأحسست بالسخف والحمق في آن واحد.. فقطبت جبيني عائدة إلى حالتي الأصلية بسلام..

"صباح الخير.. قهوة وبعض الكيك من فضلك"

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

أومأ مستجيبا وانصرف، فبدأت أنا لعبتي في تقمص الحياة في وجوه الآخرين..

كان الجالس على المائدة المقابلة شاب توحي ملامحه أنه في بداية العشرينات.. متأنقا ومتوترا بعض الشيء، يبدو أنه ينتظر فتاة، ويبدو أيضا أنها تأخرت نوعًا.. وشى به الضجر البادي على محياه، وتعلقت عيناه بمدخل الباب الرئيس منتظرا القادم..

غالبا ما تتأخر الفتيات أحيانا لاستغراقها وقتا طويلا في التأنق، وأحيانا كمغالاة في الدلال واعتبار انه من البديهي أن ينتظر هو وليس العكس، وكأنه قانون مسلم به في بروتوكولات مثل هذه اللقاءات.

بدا لي كم كنت غبية، عندما لم أتأخر يوما عن موعد لي معه، حتى ولو تأخر هو.. كان شوقي إليه يجعلني أطوي المسافة سريعا لا أحتمل فكرة أن أعذبه بتأخيري ولو دقائق وكان يشيد دائما بمواعيدي (الانجليزي) رغم أنه لم ينتهجها ذات مرة، ولم أغير أنا عاداتي في الانضباط يوما ولو على سبيل الانتقام لكرامتي، أو حتى على سبيل

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

الدلال..

لكن كنت أرى أنه لا داعي أبدا للافتعال خاصة إن كان معه هو..

هكذا كانت فلسفتي التي لن أندم عليها يوما رغم كل شيء..

قلبت ناظري بالمكان قليلا لأجد وجهي قد ارتسمت عليه ابتسامة سخرية تلقائية، عندما أثار مشهد الشجار المعتاد بين ثنائي ما، اعتراضا على تفكير الفتاة في دفع الحساب.. وقد احتقن وجهه غضبا واحمر وجهها خجلا مستشعرة بكبر الذنب الذي اقترفته بحقه، حين خطرت لها الفكرة ذات خاطر كنوع من التغيير..

فلاحت بذاكرتي عدد المرات التي دفعت فيها الحساب عن طيب خاطر ولم يهتز له بدنا، الأمر الذي كان محببا وعاديا بالنسبة لي، إيمانا بأنه لا فرق بيننا لكني أدرك الآن بوضوح أن الأمر كان أكبر من ذلك بكثير..

ارتشفت بعضا من القدح الذي كان أمامي، ولا أعرف متى أتى به النادل، لابد أن ذلك حدث أثناء شرودي..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

وتجرعت مرارة القهوة الزيادة بفعل الذكريات المريرة..

انتشلني من ذكرياتي منظر ثنائي جديد، وقد تلاقت أيديهما بحب.. يحتضن كل منهما الآخر في حنان صادق.. وقد لمعت لعيني بريق دبلتها الذهبية.. أخذني هذا لأيامنا معًا وكيف خلال سنة، هي كل الوقت الذي قضيناه معا..

كنت أحلم في كل يوم منها بخاتمنا الخاص، محفور عليه إسمينا كرباط مقدس حتى إنني – ذات يوم – استبدت بي الأمنية خلال سيرنا معًا، لأجد نفسي أتوقف بشكل لا إرادي أمام نافذة عرض أحد المحلات، وتطلعت إلى إحدى الدبل المعروضة.. ورحت أتخيل شكلها في إصبعي، واخترت له أخرى، والتفت إليه لأسأله عن رأيه في رقي ذوقي ورقته.. لكنى لم أجده!

تلفت يمينا ويسارا وقد أصابني القلق عليه لأجده مستبقا إياي بعدة أمتار، عندما استغربت الأمر تظاهر بالبحث عني ولوح لي من بعيد..

كيف مر ذلك الحادث على عقلي الساذج، ولم أنتبه إلى معناها.. لو عاد بي الزمن مرة أخرى لصفعته وقتها وتركته

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

وسط ذهوله، وذهبت..!

تناولت قطعة من الكيك، وحاولت أن ابتلعها بصعوبة.. كأنني طفل أرغم على تناول إفطاره ذات صباح سيء.. وارتشفت بعضا من القهوة التي لم أشعر بمرارتها هذه المرة، بل فقدت أي مذاق على الإطلاق.. تماما كحياتي التي أحياها من باب الواجب والمفروض..

اخترقت أذني ضحكات لثنائي أكثر نضجا.. يبدوان زوجين منذ عدة سنوات، الشيء الذي أكده لي وجود طفلان يمرحان حولهما في شقاوة وسعادة..

يبدو عليهما أنهما وصلا لدرجة من التفاهم والامتزاج، حتى أصبحا يتفاهمان بالإيماءات ونظرات العيون..

ذكرني هذا بحديثي معه عن الاستقرار والمنزل الهادئ الصغير، وكيف سأعده.. وعدد الأطفال الذين أرغب في إنجابهم، وأسماؤهم، ومن منهم سيشبهني ومن سيشبهه، وما هي الأشياء التي سنحرص على تعليمهم إياها منذ الصغر..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

ولم يسترع انتباهي قط أنه كان مكتفيا بالصمت تعليقا، ثم تطور صمته إلى شرود ثم انشغال بأمور أخرى.. منتهيا بمقاطعتي والحديث عن أشياء أكثر أهمية على حسب تعبيره!

التمع بعيني شبح دموع تنذر بفيضان جديد، فأشحت بها بعيدا إلى الشارع.. مقتطعة وعدا بعدم السماح لها بالخروج من محبسها.. وانشغلت بإجبارها على ممارسة وظيفتها الأساسية وهى الرؤية.. فرأيت سيارة حديثة الطراز، ذكرتني بأحاديثه عن الطموح والأحلام وأن الإنسان لابد أن يرتقي بأحلامه إلى أبعد الحدود، وأنه يستحق إن يحيا حياة أفضل ويمتلك أحدث السيارات وأفخم الثياب، فلا ينقصه من الذكاء والاجتهاد ما يجعله يرضى بأن يكون أقل من هؤلاء..

كم كان طموحه جامحا إلى الحد الذي يجعله يفعل أي شيء لتحقيقه.. الأمر الذي فهمته بعد فوات الأوان..

عدت بنظري للداخل مرة أخرى، وقد بدأت ألاحظ

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

انصراف الناس تدريجيا.. بدا لي غريبا بعض الشيء أن ينصرف الجميع تقريبا في نفس الوقت!

أشرت إلى النادل مستفسرة فربما وقع أمر ما إثناء تحديقي بالخارج، فأجابني بأن:

"الآن تقام ندوة هامة، بالقاعة الداخلية.. ضيفها شخصية مشهورة، على الأرجح هم ذاهبون إلى هناك.."

ندوة.. يا لها من فكرة ثقيلة، خاصة في مثل هذا التوقيت..

عندما أصبح المكان خاليا إلا مني، فكرت في الانصراف، لكن لا عمل لدى اليوم، وما زال اليوم في بدايته.. لو عدت إلى المنزل، فسوف أستلم لأحزاني وذاكرتي الفولاذية في هذا الصدد.. وإن جلست هنا بمفردي سيتكرر نفس الشيء..

التسوق فكرة ظريفة لكن لن تفتح المحلات الآن..

زيارة قريب أو صديق.. سيبدو سخيفا أن أفاجئ أحد بزيارة الآن ودون اتفاق سابق..

أخيرا قررت أن أفعل كما فعل الجميع، واحضر الندوة.. أيًا كان موضوعها سيشغلني الضجيج بعض الشيء، وربما غفوت قليلا من فرط الاستمتاع..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

كانت قد بدأت بالفعل، فتسحبت بهدوء واتخذت مقعدا بالصفوف الأخيرة.. للوهلة الأولى، بدا لي وجه الضيف مألوفا رغم بعد المسافة بيننا.. وعندما استجمعت تركيزي وبصري، تمنيت لو انشقت الأرض وابتلعتني قبل أن ادخل إلى القاعة.. لا شك أن اليوم يحمل نهايتي بأياد باردة!

وكأنني قد نسيت ، لأصطدم هكذا بكل شيء دفعة واحدة بكل هذه القسوة حتى إنني أستطيع سماع صوت تكسّر روحي وانسحاقها مدويا، واستغرب كيف لا يسمعه الآخرون..

منذ متى تغير صوته، واكتسى بهذه النبرة المفتعلة المثيرة للاشمئزاز؟!

حتى مظهره – رغم كل الأناقة والفخامة – بدا لي كمهرج في سيرك، يرقص على كل الحبال ليصفق له الجماهير..

كان هو بذاته بعد أن غيرته حياة الثراء المفاجئ الذي

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

هبط عليه منذ أن تزوج ابنة رجل الإعمال الشهير، وزميلتنا بالجامعة.. لم أكن ألاحظ ازدياد قربهما يوما بعد يوم، ومن منهما الذي تقرب من الآخر..

كان يصلني صوته، كأنه قادم من نفق شديد الإظلام.. تماما كروحه من بعدي..

ويا لسخرية الحياة!

ألم يجدوا غيره ليحدثهم عن الصدق، وأهمية إن يكون الإنسان صادقا مع نفسه قبل الآخرين.. مرورا بأهمية الحب وأثره في إحداث المعجزات..؟!

ترى أي معجزة كان يقصد..

أهي إحدى تلك المعجزات التي يحب أو يدعى الإنسان فيها أنه يحب فتاة لسنوات، ثم يتركها ليتزوج بأخرى تحقق له أحلامه الطبقية..؟!

لم أستطع تمالك نفسي، وقلت:

"يا لك من مخادع كبير!"

ولكن يبدو إن صوتي كان أعلى من المطلوب، حين تناهى إلى مسامع الجالس على مقربة منى، فجاءني صوته يقول:

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

"نعم، معك حق.. أنا اعرفه جيدا..!"

وجدتني أجيبه على الفور..

"ليس أكثر مني.."

وصمتنا معا.

لماذا يدور في رأسي الآن حديثنا الأخير، الذي لم أع منه حرفا وقتها..؟

أتذكر الآن كلماته الكريهة بوضوح شديد، ونصيحته لي أن أنسى ما كان وأتابع حياتي بعده.. متمنيا لي السعادة مع آخر، أفضل منه..

ولأول مرة منذ هذا الصباح الغريب، أتنفس بارتياح وكأن ثقلا قد انزاح أخيرا عن روحي وانتهى كابوس ظل يدمر كياني لفترة طويلة..

عاودني صوت جارى من جديد داعيا إياي تلك المرة إلى فنجان قهوة واستكمال الحديث بالخارج..

بدت لي الفكرة رائعة لمجرد مغادرة هذه القاعة فهززت

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

رأسي بالموافقة، فقال..

"يبدو لي ثمة أحاديث مشتركة بيننا آنسة منى.."

ابتسمت بصدق لأول مرة منذ شهور وسألته..

"من أين لك بمعرفة اسمي؟!"

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

إلى حين إشعار آخر

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

هذا هو اليوم الذي تحلم به كل فتاة وتتمناه طويلا مع الشخص الذي تحبه ويحبها وارتضيا ببعضهما زوجان.. تضارب المشاعر واختلاطها في هذا اليوم، أمر طبيعي تماما.. مزيج بين الفرحة والتوتر والقلق حيال ألا يكون كل شيء منضبط تماما ومخافة نسيان أي تفصيل مهما كان تافها..

الرعب من أن يطرأ طارئ يعكر من صفوهم ويترك لهم ذكرى غير مرغوب فيها في مثل هذا اليوم على وجه الخصوص..

تتمنى كل عروس أن يكون كل شيء مثاليا.. أن يُنفذ كل ما تطلبه بمنتهى الدقة والكمال.. لا شيء يترك للمصادفات.. لا شيء لم يتم الإعداد له مسبقا.. بعضهن تصاب بالإحباط إذا خرجت الأحداث عن مسارها المرسوم، وحادت ولو بعض سنتيمترات قليلة.. بعضهن تفعل الهستيريا بها أفعالها وتفقدها صوابها تماما.. البعض قد تفكر في إلغاء الزفاف والتراجع في آخر لحظة!.. أستطيع أن أزيدكم من الشعر دواوين فالحكايات في هذا المجال كثيرة

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

ولا تنتهي..

بعضهن تضخم الأمور كثيرا وتبالغ في الدقة والبعض يصاحبهن النحس وسوء الحظ بعض

الحوادث شنيعة مجرد تذكرها قد يجعل النفس تعاف فكرة الزواج من أساسها بعضها كان محض الصدفة والأخرى مدبرة بحرفية شديدة

إذا أردت أن تنتقم ببشاعة ليس أسوء من أن تفسد ليلة العمر وتجعل من العروس حكاية تتناقلها الألسن لفترات طويلة قد تصبح وصمة عار تحملها معها إلى القبر.

دعنا من هذا الحديث المشؤوم ولنفكر بإيجابية إنه التوتر المعتاد قبل ليلة العمر تريد كل فتاة أن تصبح أجمل فتاة بالدنيا وأن تشرئب الأعناق من فرط التطلع إليها، وتتيه النظرات إعجابا بجمالها الفاتن وسحرها الأخاذ..

لقد أعددت كل شيء قبل الزفاف بوقت كاف

اتفقنا على جميع التفاصيل الصغيرة منها قبل الكبيرة وصولا لأفضل النتائج أحطت علما بكل التحضيرات مكان

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

الفرح ولون الزهور تصميم الكوشة.. إلخ!

الكثير من التفاصيل والمناقشات.. أعدت وزادت في التشديد على بعض الأشياء وضرورة الالتزام بها كما أطلب حتى لا يفسد شيئا وأتحمل أنا نتيجته..

في يوم الزفاف استيقظْت مبكرا، بصرف النظر عن حقيقة كوني لم أنل من النوم سوى ساعتان فقط.. ولكن هذا لن يغير من الأمر شيئا..

ارتديت ملابسي على عجل، وذهبت إلى صالون التجميل.. قمت بجولة سريعة للوقوف على أن جميع المستحضرات والأدوات موجودة لم ينتقص منها شيئا.. وقعت عيناي على الثوب، فارتسمت على وجهي ابتسامة سخرية ممزوجة بارتياح أهذا هو الثوب الذي كلفنا شهور من البحث والاختيار والإعداد والتعديلات!!

هاهو الآن بين يداي كطفل يرقد في سلام ووداعة.. كالمعتاد لابد من التشديد على أن تكون العروس جميلة بل أجمل من الموجودات جميعا بصرف النظر عما قسمه الله لها

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

من حظ في الجمال.. ولابد أن تكون عصبية أيضا ومتوترة لا شيء جديد في القصة..

ولابد أن تختبر كل شيء لمرة أخيرة حتى لو تمت تجربته عشرات المرات من قبل.. من الوارد أيضا أن تغير رأيها في آخر لحظة، وأن تصاب بالحيرة حول سلامة اختياراتها..

ربما تخرج عن شعورها قليلا وتبدر منها بعض التصرفات الغير لائقة.. هذا ذنب مغفور لأي عروس في مثل هذا اليوم ينبغي ألا يغضب منها أحد فلو عرفوا كم التوتر الذي يصيبها لالتمسوا لها آلاف الأعذار..

يبدو اليوم طويلا ومرهقا، لاسيما في هذا الوقت من العام الذي تزداد فيه حرارة الجو بشكل يجعلنا نتساءل هل كنا أغبياء عندما اخترنا هذا التوقيت لنتزوج فيه لكن المعتاد أن تكثر الزيجات بالصيف عن مثيلاتها في الشتاء لأسباب كثيرة أغلبها غير منطقي!!

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

كان الجهد المبذول لا يمكن أن ينكره عاقل لكن النتيجة كانت مرضية.. فاتنة بلا جدال ملكة متوجة ستزف إلى ملكها بعد قليل وتجلس على العرش بجواره تتلقى التهاني من عامة الشعب..

لا يضاهيها أحد جمالا ولا ينافسها سعادة، تكاد ترى أحلامها بين يديها متجسدة..

رغم كل ما يثار من الأكاذيب التي تبدو في هذه الليلة محض افتراء وهراء خالص.. أو على أفضل تقدير حديث حاقد أو حاسد لا يرغب لها أن تحيى هذه اللحظة التاريخية.. لحظة تتويجها ملكة على قلب من تحب.

حتى ولو كانت أكاذيبهم حقيقية، فهو ثمن قليل مقابل تلك الليلة وذلك الشعور الرائع..

لاسيما أن كل عروس تقنع نفسها جيدا بأنها حالة مستقلة ومختلفة عمن سبقها ومن سيليها، فلم تكن إحداهن تحب زوجها و يحبها مثلها.. كما أنها قادرة بعقلها وأنوثتها أن تحيا في سعادة أبدية، وأن تنجو بحياتها

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

وتتسامى فوق كل هذا الهراء الذي يثار عن الحياة الزوجية ومتاعبها..

هل تأخر العريس عن المعتاد أم إنه التوتر والقلق الزائد

اللهم ألهمنا القوة، لنتجاوز هذه الأفكار المخيفة والبشعة عن أسباب تأخره، بما فيها عدوله عن فكرة الزواج نفسها..

ما هذا الجنون!

لماذا سيفعل هذا ألم تكن هذه رغبته وأكبر أمنياته بالحياة.. ألم يكن هذا اختياره من بين نساء الدنيا وبكامل عقله ومشاعره.. ألم يتعجل هذا اليوم منذ أول لقاء، وبات يحلم به كل يوم.. أعندما يتحول إلى.. حقيقة يتراجع..؟!!

غير معقول.. بعد تأخير دام ساعة وصل العريس مرتبكا ومعتذرا عن تأخره بسبب الزحام، الذي ليس لديه أي حياء أو شعور، ليراعى هذا الحدث التاريخي.. ويتراجع عن سلوكه المشين ولو ليوم واحد..!

لا بأس.. المهم أنه حضر، والأهم على الإطلاق تلك النظرة التي ينبغي أن يتوقف الزمان عندها، وينحني إجلالا وتقديرا ليسطرها في أهم صفحاته محفوفة بأجمل أنواع الورود.. تلك النظرة التي تقع فيها عينه على عروسه وقد

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

بدت أجمل زهرة في بستان قلبه ليتسلمها بكل حب وشوق يعدها بأن يحافظ عليها ويرعاها إلى آخر العمر.. هذه الزهرة الرقيقة الرائعة، ملكية خاصة، لا ينازعه فيها أحد.. يود لو يخفيها عن جميع العيون لئلا يشاركه أحد ولو في مجرد النظر إليها.. تتلاقى أيديهم في نهاية رحلة الأحلام وبداية رحلة الاستقرار.. يكاد الناظر لهم يجزم بأنهم الآن لا ينتموا إلى مثل عالمنا وأنهم فراشات تطير وتحلق فوق بستان في الجنة داخل مشهد شديد الخصوصية والروعة.. مر اليوم كالمعتاد من طقوس الاحتفال.. وودعا الجميع ليطيرا نحو عشهما الهادئ، وقد أخلفوا قسما من سعادتهم، اقتسمها معهم الأقارب المحبين والأصدقاء المخلصين.. وأنا!

ذهب الجميع إلى بيته ولابد لي أن أفعل مثلهم..

أحمل أحلامي وسعادتي المستقبلية ليوم أخر جديد، استعد فيه لتجهيز عروس أخرى وتجميلها، لأسلمها لزوجها أجمل فتاة وأسعد فتاة.. مكتفية بمشاركتهم جزءا ضئيلا من تلك السعادة..

إلى حين إشعار آخر...!

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

الرسالة الأخيرة

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

عزيزي س:

أعتذر عما بدر مني بالأمس.. لا أعرف ما الذي يحدث لي، عندما أجدك بصحبة أخرى.. حتى لو كانت مجرد زميلة أو أخت كما تقول.. هكذا هو الحب في نظري.. غيرة..

أعدك أنني لن أسبب لك حرجًا مرة أخرى.. لكن عدني أولًا ألا تكررها!

عزيزي س:

سأضطر للتغيب يومين ليس أكثر.. أعرف أنها فترة طويلة وقاسية بالنسبة لنا.. لكن ما باليد حيلة.. إنها مريضة جدًا تلك الخالة ولابد من السفر.. سأتعلل بالدراسة والامتحانات لأعود.. لن أتحمل أكثر من اليومين.. أستودعك الله حتى أعود.

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

عزيزي س:

يسعدني أن أكون أول من يزف إليك خبر نجاحك.. لقد تخرجنا أخيرًا.. انتهت أيام عدم المسؤولية.. نحن الآن على أعتاب مرحلة جديدة.. ينبغي أن نحسب خطواتنا المقبلة بدقة لنعرف ما سنفعله.

عزيزي س:

أعلم أنني لن أكون لغيرك مهما حدث.. فلا تخش شيئًا.. لن يضطرني أهلي للزواج بغيرك.. فكن مطمئنًا من جانبي.. حتى إذا عدمت كل حيلي، فسأحمل نفسي إليك.. أعرف أنك لن تخذلني وقتها.. أليس كذلك؟

عزيزي س:

ألم أقل لك من قبل إننا على وعد بألا نفترق.. لا تتخيل مدى سعادتي بتلك الفرصة التي جمعتنا بالعمل في نفس

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

المكان.. هكذا سنظل معًا دائمًا.. لن تجد مني مفر فأنا قدرك.. وبالتأكيد أجمل قدر...!

عزيزي س:

لا اعتراض لدي على سفرك.. أعرف كم هي رائعة تلك الفرصة التي أتتك للعمل بتلك الدولة.. بالتأكيد ستضيف إلى رصيد خبراتك الكثير.. خاصة في مثل هذا العمر.. لا تقلق بالنسبة لي.. سأنتظرك حتى تعود.. ستجدني أحتفظ لق بنفس القدر من الحب.. وأكثر.

عزيزي س:

هذه هي رسالتي الأخيرة.. لقد عرفتك لأعوام كزميل دراسة وعمل ثم صديق.. لكنك لم تكن لي مجرد زميل أو صديق.. بل كنت حبيبًا وستكون زوجًا.. لا تتعجب من ثقتي، هكذا أشعر.. إنك قدري ولن يفرقنا شيء.. فأين يذهب الإنسان من قدره؟!

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

لقد ارتاح قلبي أخيرًا بعد اعترافي هذا.. وسأترك الخطوة القادمة.. لك!

* * * * *

– حمدًا لله على سلامتك أستاذ سمير.. لقد افتقدناك كثيرًا.. أعنى الجميع هنا.. أرجو أن تكون وفقت بالخارج..

– أشكرك.. أنا أيضا افتقدتك.. أعنى الجميع هنا.. كنت في حالة اشتياق دائم لمعرفة أخباركم.. كانت تصلني من بعض الأصدقاء..

ساد الصمت لفترة قبل أن يندفع قائلا:

"مروة.. أنا أحبك.. منذ أول مرة رأيتك فيها.. منذ كنا زملاء دراسة.. لم أتوقف عن التفكير بك لحظة واحدة طوال تلك السنوات.. آسف إن كانت صراحتي أزعجتك، ولكن كان لابد أن أعترف لك، ليرتاح قلبي.. والآن هل تقبلين الزواج بي؟!"

* * * * *

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

عندما عدت للمنزل كان أول شيء فعلته أن اندفعت إلى حجرتي.. فتحت ذلك الدرج المغلق بالخزانة.. أخرجتها وتفقدتها.. وجدتها كاملة لم ينقص منها شيء.. رسائلي إليه طوال تلك السنوات، كما هي في مكانها الذي لم تبرحه يومًا..

علت وجهي ابتسامة خجلة وأنا أهمس في سعادة:

"طبعا موافقة !!"

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

This document was created using SOLID CONVERTER PDF
To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

رحلـــة

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

صدح الديك فجرا، فشرعت تفرك عينيها الصغيرتان في مزيج بين مقاومة النوم في تلك الساعة المبكرة، التي يبدو فيها أكثر إغراءا.. وبين حماسها الشديد لهذا اليوم المختلف..

لم يكن الديك لهم، بل يخص الجيران الذين صاروا بالتأكيد أفضل حالا منهم ربما كان لديهم من قبل الكثير من الحيوانات.. كان هذا قبل وفاة والدها منذ عام وتغير الأحوال، مما أضطر أمها لبيع كل ما لديهم حتى الفراش حيث كانت تنام!

لاحظت أن أمها استيقظت، بل لم تنم من الأساس، واكتسى وجهها بملامح تعرفها جيدا.. إنه الحزن وقلة الحيلة كما كانت تسمعها منها دائما.. لكنها دهشت لحزنها خاصة في ذلك اليوم..

اغتسلت وتناولت ما تيسر من طعام تبقى من عشاء الأمس، وارتدت ثوب العيد الماضي الذي توفره أمها للمناسبات.. بالتأكيد لن توجد مناسبة أنسب من اليوم..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

يوما، لطالما حلمت به طويلا وسمعت عن تفاصيله ممن أسعدهم الحظ، وتجاوز بهم خارج حدود قريتهم الصغيرة البائسة، التي تجاوزتها ذاكرة مصر تماما.. كما فعلت مع بقية قرى الجمهورية..

اليوم لأول مرة بعد حياة دامت اثنتا عشر عاما ستطأ قدمها أرض جديدة، وتغتسل عينيها بوجوه جديدة غير تلك الوجوه الغابرة الكالحة التي أرهقها الفقر ونوائب الزمن..

سترى شوارع مرصوفة وسيارات يتجاوز عددها البشر ربما.. سترى البحر الكبير، وواجهات المحلات الزجاجية.. سترى نساء المدينة المتأنقات، ذوات الشعر المنسدل والوجوه الملونة، ورجال المدينة بأزيائهم المغايرة لما تألفه، وعطورهم الأخاذة..

حتى الأطفال ليسوا كأولئك الذين اعتادت رؤيتهم طوال حياتها، تتضح على وجوههم الرفاهية التي يعيشونها..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

الكثير والكثير مما دأبت على سماعه.. منذ أن تشكل وعيها وهى تسمع عن المدينة الكبيرة الصاخبة وتحلم في كل يوم أن يمنحها قدرها زيارة إلى هذا العالم الأسطوري، لتتأكد بنفسها من صدق ما قيل عنه..

لم تصدق أمها حين أخبرتها أنها ستزور المدينة بعد عدة أيام، فالتمعت عيناها، وشهقت فرحا لهذا الخبر السعيد، ثم توسلت لها بأن تصطحبها معها فلم تجد من جانبها أي اعتراض..

ارتمت في حضنها غير مصدقة أن حلمها سيتحقق أخيرا بتلك السهولة.. وظلت تمنى نفسها بالكثير من الأحلام حتى تنقضي تلك الأيام التي شعرت أنها كجبال تأبى أن تبرح مكانها..

اكتست والدتها بردائها الأسود الكالح، الذي يشبه أزياء بقية النسوة في قريتها، وأمسكت بيديها بقوة وكأنها تخشى

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

أن تفلتها، فتضيع منها هنا أو هناك، رغم أنهما لم يتجاوزا عتبه دارهما بعد..

في الطريق قابلت حنان صديقتها وجارتها في مقعد الدراسة، تحمل حقيبتها القماش متوجهة إلى المدرسة..

"إلى أين أمينة، ألن تأتي اليوم؟"

فنظرت إليها بعينين فرحتين، وهزت رأسها نفيا ثم همت أن تخبرها بالمفاجأة، لولا تذكرت تحذير أمها من أن تخبر أحدًا وإلا فلن تصطحبها.. فأغلقت فمها على الفور خشية أن تنفذ تهديدها..

"وحصّة الرسم.. أنت تحبين الرسم وأنا امقته.. من سيرسم لي إذن؟"

أطرقت في حزن، ثم تغير حالها للنقيض على الفور..

"ليس اليوم.. عندما أعود سوف أرسم لنا.. وستكون رسوماتي أجمل بكثير تلك المرة.."

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

أشارت إليها أمها بأن تسرع الخطى، فأشارت إلى صديقتها بالوداع.. تاركة إياها وسط ذهولها وعدم فهمها لما يحدث.. وجدّت في سيرها..

بالقرب من موقف سيارات الأجرة، لمحت شبح القادم من بعيد نحوهما.. فامتعضت على الفور وشدت على يد والدتها فهدأت من روعها وأخبرتها ألا تخشى شيئا..

كان القادم حامد أفندي الموظف بالري، لم تذكر أنه كان صديق والدهما كما أصبح يخبرها مرارا وتكرارا بعد وفاته..

عندما توالت زياراته لهم يسأل عن أحوالهم وإن كانوا يحتاجون إلى شيء.. ورغم أنهم بالفعل كانوا يحتاجون للكثير من الأشياء إلا إنه لم يقدم لهم أحدها يوما.. فقط كان يثرثر كثيرا!

وذات مرة كانت تلعب بالخارج حين جرحت يداها.. مما اضطرها للعودة إلى البيت، فوجدَته يقترب من أمها بشكل غريب، جعلها تدفعه بعيدا، وتنهره في ضيق كما فهمت من ملامحها التي تحفظها جيدا.. وعندما رآها، ظل

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

ينظر إليها شذرا لدقائق، قبل أن ينتفض غاضبا إلى خارج المنزل..

بعدها شرعت أمها في بكاء طويل تنعى حظها وقلة حيلتها.. لم تفهم لماذا كانت تبكي، لكنها منذ ذلك اليوم باتت تكره حامد أفندي وتخشى رؤيته في أي مكان لأنه يذكرها بضيق والدتها وبكائها..

تجاوزا كلتاهما نظراته المتفحصة ووجهه الوقح.. ركبا السيارة التي سوف تقلهما إلى المدينة وأخرجت أمها من صدرها منديلًا ملفوفا بحرص حول بعض النقود، و ورقة مطوية.. وأعطت السائق الأجرة، فطالبها تلك الخاصة بها، فرفضت متعللة بأنها طفلة صغيرة، ليس من العدل إن تدفع لها أجرة كاملة.. وبعد مداولات وافق السائق على مضض رأفة بحالها وظروفها التي يعرفها جيدا..

لم تستطع مغالبة النعاس خاصة أنها لم تنم من فرط التحمس فدفنت رأسها بحجر أمها وراحت في نوم عميق..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

استفاقت منه على أصوات أبواق السيارات المرتصّة بالموقف، ويد تهزها وتخبرها بأنهم قد وصلوا بالفعل..

فتحت عينيها بحركة فجائية متحفزة لمطالعة المنظر من حولها..ترجلت كلتاهما ولازالت أمها تعتصر يدها بشدة، مخافة أن تنزلق من يدها سهوا.

ظلت تسير طويلا بجوار والدتها فاغرة فاها، شاخصة العينان، لا تكاد تصدق ما تراه حولها.. تخشى أن تغلق عينيها لحظة فيفوتها شيء ما..

لم يوفق أهل القرية في وصف هذا العالم الكبير والمثير ظلت تهز ذراع أمها ملفتة نظرها للأشياء حولها، ومستفسرة عن هذا المجهول حولها.. أحيانا كانت تجيبها، وأحيانا كانت تصمت، وتخبرها أنها هي الأخرى لا تعرف.. استبد بهما التعب من السير فاختارت والدتها إفريزا مرتفعا، وجلست بجوار شجرة وافرة الظلال.. أسندت إليها رأسها في إرهاق شديد وأحاطت ابنتها بذراعها الواهن كقطة صغيرة..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

لمحت الفتاة من بعيد شيء تعرفه جيدا.. كان بائعا متجولا لحلوى غزل البنات التي كفت عن شراءها منذ عام.

نظرت إليه في يأس وهى تعرف أنها لن تتمكن من تذوقها مجددا، ففطنت أمها للموقف.. واستوقفت الرجل، وابتاعت منه واحدة كبيرة وأعطتها إياها..

لم تصدق ما حدث.. يبدو أنه يوم سعدها بلا أدنى شك.. احتضنت أمها طويلا ولثمت خدها، ثم شرعت في تناول حلواها المفضلة..

كانت منهمكة في الأكل، كأمنية تحققت بعد طول انتظار.. لدرجة لم تر دموع والدتها التي أخذت تكفكفها وتجففها في كم جلبابها الطويل..

"لا تبكى يا أمي.. سامحيني، لقد نسيت أن أعطيك!"

وناولتها قطعة من الكيس، فابتسمت إلام من سذاجة ابنتها ولثمت كفها، ثم توجهت بها إلى فم الصغيرة تطعمها القطعة..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

عندما انتهت من الأكل، استعدت لمواصلة السير من جديد.. عندما باغتها سؤال ابنتها:

"إلى أين ذاهبتان يا أمي؟"

سكتت قليلا، وكأنها تفكر في إجابة ما، ثم أخبرتها أنهم بصدد زيارة لجماعة من معارفهم..

لم تفهم الصغيرة إبعاد الجملة جيدا، واستعدت للنطق بالسؤال التالي..

"ولماذا لا نركب إحدى هذه السيارات.. إنها كثيرة جدا وسريعة، يمكنها أن تصل بنا إلى حيث نريد.."

أطرقت إلام في خجل، ثم قررت ألا تكذب عليها بشأن عدم امتلاكها ما يسمح لهما بذلك..

فأذعنت الصغيرة في يأس، واستعدت لاستكمال المشوار الذي لا تعلم أين ومتى سينتهي..

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

أخيرا وقفت الأم أمام إحدى البنايات، بعد سؤال عدة أشخاص خلال الطريق عن العنوان المكتوب بالورقة التي كانت تحتفظ بها داخل المنديل..

انتحت ببواب البناية جانبا، وتبادلت معه بعض العبارات، قبل أن يسمح لها بالصعود..

أما هي فقد أبهرتها البناية المتسعة شديدة النظافة، وتلك الطوابق المتراصة فوق بعضها البعض.. وصدمها بالنهاية تلك التجربة المثيرة والمرعبة داخل المصعد!

توقفت الأم أمام أحد الأبواب وطرقت الباب عدة طرقات خافتة، وكأنها تتمنى لو لم يسمعها أحد.. وعندما تحمست للعودة، فاجأها الباب بالتحرك، واتسعت المسافة كاشفة عن سيدة تماثلها عمرًا إلا أنها في غاية الجمال والأناقة.. عرفتها بنفسها فسمحت لها بالدخول..

ظلت أعين الصغيرة متعلقة بأثاث المنزل الذي لم تر مثله من قبل.. وصدمها روعة تلك الأسماك الصغيرة الملونة بداخل الصندوق الزجاجي.. وتلك العصافير المعلقة بالقفص في أعلى الشرفة.. الكثير من التفاصيل التي امتلأ بها

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

المشهد، وغاصت بداخلها، تختزنها جيدا كي ترسمها عندما تعود..

– "ألا أصلح أنا لتلك المهمة يا هانم..؟!"

– "لقد أخبرتك مرارا أنك لا تصلحي لها.."

احتضنت ابنتها طويلا، وهى تبكى بمرارة لبعض الوقت.. قبل أن تفلتها للمرة الأولى، وتتوجه إليها بقلب محترق، وصوت متهدج.. وعبارة ظلت تكررها لعدة مرات قبل أن تختفي عن مجال رؤيتها.. وقبل أن تتمكن البنت من استيعاب أي شيء صفعت الباب خلفها.. وظل دوى الكلمة يرن في أذنيها للحظات، مرت وكأنها سنوات..

"سامحيني!!"

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

خطوات الفَجر

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

وكما أن للتعود مفعول السحر كما يقال، خاصة أنني كنت قد اعتدت الأمر لسنوات، كما اعتدت السهر ليلًا لأسباب لم أعد أذكر معظمها.. فقد اعتدت أن يشق سكون الكون.. يخترق غلاف الصمت المسجى حول الدنيا بذلك الوقت.. يقطع أفكاري وتأملاتي وأحيانًا نقراتي على لوحة المفاتيح، صوت موتور المياه أولًا – فلم تكن تصلهم بدونه - يليها صوت خطواته الرزينة فوق درجات السلم والتي تنتهي أخيرًا بصوت اصطكاك البوابة الحديدية للبناية.. حينها أعلم أنه حان موعد آذان الفجر قبل أن يصلني صوته من أقرب مسجد لنا.. فكان هو دليلي الذي لم ينقطع لسنوات حتى في أحلك الليالي – حين ينقطع التيار الكهربائي عن الشارع وربما الحي بأكمله – وأكثرها برودة في الشتاء..

لم يكن يتخلف يومًا..

أحيانًا كنت أشعر كأنه يد أبوية بديلة لتلك التي فقدتها منذ سنوات، تربت على كتفي في حنان لتنتشلني من أي

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

شعور بالحزن أو الضياع، وتؤكد لي أن لاشيء في الدنيا يستدعى الحزن بسببه..

كان الحدث المتكرر يفاجئني يوميًا رغم توقعه.

يذكرني بالله.. يطمئنني..

للمرة الأولى أستشعر ذلك السكون المؤلم للكون في ذلك التوقيت.. أنفض رأسي من الفكرة، وأستمسك ببقايا أمل، في أن ما حدث لم يحدث بالفعل.. أو أننا توهمنا ذلك على أي سبيل..

أنتظر عله يقطع ذلك الصمت المريع، ويرتفع صوت موتور المياه، ثم خطواته الرزينة فوق درجات السلم. لتنتهي أخيرًا بصوت اصطكاك البوابة الحديدية.. فأتنبأ الوقت بدقة شديدة وكأننا في عصر ما قبل الساعة..

ربما واتتني الشجاعة هذه المرة لأنتظره أمام باب شقتي طالبة منه ألا ينساني في دعائه.. ربما أيضًا أعتذر منه عن

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

أي شيء قد يكون أغضبه يوما منى، وأخبره أني تمنيت أحيانًا لو كنت رجلًا كي أرافقه رحلته اليومية في كل فجر..

انتظرت وانتظرت.. وأخيرًا أفقت على مرارة الواقع الذي يقر بأن ما حدث واقعًا بالفعل، وأن البارحة كانت الأخيرة لو كان يعلم..

*****

اختلطت أصوات ذويه وتداخل البكاء والنحيب .. والعويل، مع بعض العبارات المندهشة لوفاة الرجل فجأة، دون سبب ما.. خفتت الأصوات تدريجيًا حتى حل محلها صمت مطبق.. وتغلغل صوت القرآن الكريم داخل نفوس المحتشدين، يقطعه من حين لآخر عبارة..

"البقاء لله ..!"

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

المجنون

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

– "**أنت** مجنون يا عزيزي.. مجنون كليًا!"

– "من يفعل فعلتك، لا يمكن وصفه بأية كلمة سوى الجنون!"

– "تبدو لى مجنونًا أصيلًا ، لست مزيفًا .. الجنون عندك موهبة وحرفة وليس ظرف إجباري!"

– "هل أنت مجنون؟!"

– "أنت لست مجنونًا عاديًا، بل أنت المادة الخام للجنون نفسه!"

* * * * *

ظلت تتردد في عقلي هذه الجمل ومثيلاتها، الكثير مما ظللت أسمعه طوال حياتي، قبل أن أقرر الامتثال لرغباتهم والتحول بكامل إرادتي للجنون الحق.. فقد كنت أُتهم به دون وجه حق ودون أن أجد تشابهًا بين ما أفعل أو أقول وبين كلمتهم التي التصقت بي كظلي، حتى أضحت لقبًا وشهرة..

لذا قررت أن أمارس الجنون فعليًا حتى لا أستشعر الظلم، وأجد نفسي جديرًا بما يصفون.. وحتى يفكر كل

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

إنسان جيدًا – قبل أن يغدق الألقاب أو الصفات على أحد – فيما يمكن أن تسفر عنه فعلته !!

* * * * *

"حقوق!.. هل أنت مجنون؟!.. أن مجموعك يؤهلك لارتياد أعلى الكليات.. يمكنك أن تصبح سفيرًا أو وزيرًا.. يمكنك أن تصبح ما تريد، فلماذا تصر على إهدار كل هذه الدرجات في كلية الحقوق؟!.. لماذا أجهدت نفسك في الدراسة طالما أنك تضمر هذه الرغبة.. كان يمكنك أن تكتفي بمشاهدة التلفاز والتسكع بالشوارع وكنت ستحصل على ما يكفي لهذه الكلية.. هل تعرف كم طالب يتمنى أن يصبح مكانك الآن...؟!!"

لا أعرف لماذا يتحدثون وفيم يجادلون.. إنه مستقبلي واختياري.. ألا يحق لي أن أحدد شيئًا في حياتي، أم أجلس وأفعل ما يمليه عليّ الآخرين بدم بارد وابتسامة ممتنة؟!

من قال إن الحقوق سيئة، ومن قال إن سواها أفضل ومن قال إنني أريد سواها؟!.. ببساطة أنا أريد أن أصبح محاميًا

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

ولا شيء غير ذلك.. لا أشعر بالسعادة إلا وأنا أنصف مظلومًا أو أساعد مسلوب الحق على استعادته..

ولأن هوة الشر تتسع بعالمنا كل يوم، ولأن الطيبين أضحوا جائزة يانصيب، لا يفوز بها إلا الأوغاد.. فينبغي جميعًا أن نصبح محامين!

ولذلك فقد دخلت كلية الحقوق، ومياه البحر تكفي جميع معارضيَّ في الرأي..

* * * * *

"أنت مجنون يا عزيزي، ويومًا ما ستندم على قرارك.. لكنني لن أدير رأسي إليك حينها.."

قالت الحسناء المغرورة التي جاءتها الدنيا على طبق من ذهب، تمتلك كل المغريات التي تهم شابًا مثلي، من الجمال والمال والعائلة ذات النفوذ والسلطة.. لكنها لم تتوقع أن أرفضها، ولم يخطر لها ببال أنها لو كانت آخر نساء الأرض لرفضتها!.. لا أجد سببًا يدفعني لتحمل الحديث معها لمدة

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

نصف ساعة.. فكيف سأرتبط بها؟!.. لا شيء يجمعنا.. لا شيء مشترك.. أشعر بأنها تستأثر بكل هواء الكوكب حينما تكون معي وتتركني أختنق.. من قال أنى أريد الزواج من خزانة أموال متنقلة، أو أريد دعم عائلتها، التي لم تدخر جهدًا في توريثها نصيبًا كافيًا من التجبر والغرور.. فلديها قدرة هائلة على ليّ ذراع الحقيقة، وإكساب الأشياء مسميات لا تمت لها بصلة.. يمكنها أن ترتكب أية حماقة وتظلم أي إنسان لمجرد رغبتها في ذلك!

تعوَدت أن تأمر فُتطاع وتطلب فتجد.. لا تفكر إلا في نفسها فقط، وليذهب العالم بعد ذلك إلى الجحيم .. لكني كنت طلبها الأول الذي يُرفض، ورغبتها الأولى التي لم تتحقق.. ولا يبدو لي أن نبوءتها بندمي ستحقق يوما ما!

* * * * *

"أنت مجنون بالفطرة وسوف تدفع ثمن جنونك.. لأجعلنك تندم حيث لن ينفع الندم!"

كنت موكلًا في قضية، متهم بها تاجر مخدرات، وقد كانت أول قضية يسمح لي بالترافع فيها باسم المكتب،

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

لانشغال "المتر" بأشياء أهم.. مثل متابعة الحملة الانتخابية لرجل الأعمال الشهير.. ذلك الذي وعده "المتر" بأن الدائرة ستكون من نصيبه ولا شك!

لم أستطع تقبل فكرة أن يُؤتى بشاب فقير ليحمل القضية عن التاجر مقابل حفنة من المال.. حينما رأيت والدته في قاعة المحكمة، مكلومة متحسرة على ابنها، وقد تعلقت بي، وتوسلت أن أنقذ الأبن الذي باع نفسه من أجل بعض المال، عرفت أن مال الدنيا لن يعوضها عن وحيدها فوجدت نفسي أقف مدافعًا عنه، وكاشفًا تفاصيل المؤامرة التي حيكت، مؤمنا بأن من أقترف ذنبًا فليتحمل عقابه.. بعدها تأكدت أن العالم أصبح مكانًا لا يتسع للمجانين من أمثالي.. ليكتف بعقلائه!!

* * * * *

بدت لي فكرة الانتحار مناسبة، كحل للخروج من أزماتي التي تفاقمت خلال الفترة الأخيرة، فليكن بيدي لا بيدهم.. وعلى أي حال لن أفتقد الحياة كثيرًا في عالم العقلاء وبالتأكيد لن يفتقدوا مجنونًا مثلي يعكر صفو عقلانيتهم!

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

أعددت كل شيء وتركت لهم رسالة أخيرة، حتى لا أكلف أحدهم مشقة التفكير في سبب اختفائي وإلى أين ذهبت!

* * * * *

"رحمة الله على فقيدنا.. لقد كان مثال الأمانة والشرف والعقل.. لم يملك مثله ما أُوتى من رجاحة العقل واتزان التفكير.. فلتتغمد روحه الرحمة وتتهيأ الجنة لقدومه.."

خرجْت من السرادق المخصص لتقبل العزاء في وفاتي، بعد أن دخلته متنكرًا لأشارك في واجب تعزية آلي، كي لا يفوتني هذا الثواب الكبير.. لم أستطع مقاومة رغبتي في الضحك، فخرجت سريعًا احترامًا لمهابة الحدث، وقد قررت أن أحيا مجنونًا إلى الأبد...!

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com

الفهرس

كلمة 06

الصندوق 08

دقات التاسعة 22

ماريونيت 31

ذات لقاء 38

خلاف 45

وانطوت الصفحة أخيرًا 51

إلى حين إشعار آخر..... 65

الرسالة الأخيرة 74

رحلة 81

خطوات الفجر 94

المجنون 99

This document was created using SOLID CONVERTER PDF To remove this message, purchase the product at www.SolidDocuments.com